



مستقبل مصر الأسود ، والرّبع المُتبقّي !

بقلم : رائف محمد الويشي

15 أبريل 2012

هناك مثل شعبي يعرفه أغلب المصريين عن جحا ، مفاده أن الناس طلبوا يوما منه أن يعدّ غنمه ، فأشار بيده إلى غنمه وقال للناس ساخرا " واحدة نائمة ، والثانية صاحية " ..
هكذا يضحك المتآمرون الثلاثة من قلوبهم ويраهنون على أن الجوع سينتصر في المرحلة التالية لثورة مصر ، بعد أن تذهب السكرة وتهأ العاصفة ، حينها سيطلب شعب مصر الحصاد للدماء التي قدمها فلا يجده ..

أطراف المؤامرة يحملون أكثر من جنسية ، وأكثر من ديانة ، ويعيشون في أكثر من قارة ، لكنهم متفقون على شيء واحد وهو إفشال الثورة المصرية ، حتى تعود مصر إلى سابق عهدها ، ببساطة نقول أن نجاح تلك الثورة سيهدد وجودهم ومصالحهم في الصميم ..

ما يعرفه المصريون جميعا ويرفضون الاعتراف به هو أن مصر تتسوّ الآن طعامها بعد أن نزفت ثروتها بفعل فاعل جاء في سبتمبر 1970 وتبعه فاعل آخر بالغ في نهبها حتى النخاع ، وقد تمتع الاثنان بحماية أميركا لإتمام المهمة التي لم تقدر عليها الأسلحة الفتاكة ، إخراج مصر من دائرة الصراع بتركيعها كانت المهمة الكبرى لهذين الفاعلين ، وقد أدياها على أفضل وجه يخدم مصالح أميركا ..

ما لا يعرفه أغلب المصريين ولا يريدون معرفته هو أن مصر في حالة إفلاس مالي شديد وأنها ستموت لو أوقف الداعمون مساعداتهم الاقتصادية ، فميزانية الدولة معروفة ومحدودة للغاية ، تماما كما هو الحال مع غنم جحا ..

أنظر معي إلى بنود الإنفاق في ميزان المدفوعات المصري لترى حجم الكارثة ، إنها كرجل تحالفت ضده مشاكل الحياة ، فما أن يتسلم مرتبه حتى يجد على بابه صفا من أصحاب المديونية ، فيتسلم كل واحد منهم نصيبه ، ويمضى الرجل (أي مصر في حالتنا) بقية شهره يتسوّل ..

هناك 25 % من الميزانية تذهب لبند الأجور والمعاشات ، وهناك أخرى تبلغ 25 % تذهب إلى بند دعم الغذاء والطاقة ، وهناك 25 % تالفة تذهب إلى دفع القروض وفوائدها .. يتبقى الربع الأخير من المرتب ، كانت الحكومات منذ السادات وحتى مبارك تسرق منه ما تريد ، وما يتبقى كان يتم إنفاقه كالقطارة على خطط التنمية ، بعض الجنيّات تذهب إلى الداخلية أولا ، ثم الصحة ثم التعليم ، وهكذا .. لا يعنى ذلك أن البنود الثلاثة الأولى كانت خالية من النهب ، لكن النهب كان يتركز بصورة أساسية في الربع الأخير ..

سنفترض هنا أن حكومة مصر بعد الثورة ستتغلب على السرقات وستضربها في مهدها بيد من حديد ، هنا لابد أن نسأل أنفسنا سوّالا هاما ، هل ستتمكن الحكومة المصرية – رغم نزاهتها التي نؤكد عليها - من إطعام شعبها ؟
المتخصصون يقولون أن مصر لن تتمكن من الوقوف على قدميها دون مساعدات والتي مصدرها الوحيد يأتي من العروش العربية والغرب ..

لنمر سريعا على كل طرف من تلك الأطراف الثلاثة المتآمرة لترى موقفه من ربيع مصر العربي :

الطرف الأول : العروش العربية

تعرف النخبة المصرية أن العروش العربية متخوفة حتى رأسها من الربيع العربي ، وهى على هذا الحال تتمنى الفشل الكبير والسريع له ..

اقتصاد تونس (أرض الربيع العربي الأول) يقف على أرضية لا بأس بها ويستطيع أن يسير دون مساعدات ، وهو في مصر (أرض الربيع الثاني والدولة الأهم بالمنطقة) منبسطا على وجهه في غرفة الإنعاش ، وفي ليبيا (أرض الربيع الثالث) يقف على أرض صلبة واعدة ..

العروش العربية في حاجة ماسة لأن تقنع شعوبها خاصة والشعوب العربية عامة بأنها ستجنى من الربيع العربي دمارا وسيضيع حاضرها ولن يأتي مستقبلها إلا بالجوع ، ربما كان أصدق تصريح خرج بتلقائية شديدة هو ما صرح به الفريق ضاحي خلفان مدير عام شرطة دبي في لقائه مع صحيفة الوطن الكويتية المنشور في 21 مارس 2012 حين قال " المتباهون الآن بالربيع العربي وبالإخوان سيندمون غدا " ..

على هذا النحو ، تعتبر الحالة المصرية نموذجية من وجهة نظر أطراف العروش لإجراء التجارب التي وعد بها الفريق ضاحي خلفان ، فما وعد به لا يصلح في تونس ، وغير مقبول أو معقول تطبيقه في ليبيا ..

مصر بالبطون الخاوية لثمانين مليون ، وأمراضها المستوطنة التي ضربت بها أرقاما عالمية ، واقتصادها المنكوب ، وتعليمها المنهار ، وبنيتها التحتية التي تعبر عنها مواسير المياه المثقوبة كالجبن السويسري ، وعشوائياتها التي تشكل قنابل نائمة لكنها ساخنة ، مصر بكل ذلك تصلح كي تكون مثلا نموذجيا لإجراء التجارب التي تنتظرها العروش العربية ، ونطق بها لسان الفريق ضاحي خلفان في لحظة صدق نشكره عليها ..

الطرف الثاني : الغرب

عندما نتكلم عن الغرب فإننا نقصد تحديدا أمريكا ، فهي القائد الفعلي لعالم اليوم بصورة عامة وللعالم الغربي بصورة خاصة ، وربما ستظل كذلك لخمسين سنة قادمة ..

أبناؤها التاريخ الغير بعيد بأن أمريكا تقف وراء نكبات شعوب الشرق الأوسط ، فهي من ناحية تقف بجانب كل الطغاة العرب وتمدهم بالسلاح والغطاء السياسي ، وهي من ناحية أخرى تقف مع إسرائيل التي زرعا في المنطقة لامتناسص ثرواته وتفكيكه ..

لقد تمكنت أمريكا في العقد الأخير من إنشاء حلف شيطاني يجمع بين طغاة المنطقة وإسرائيل ضد شعوب الشرق الأوسط ، وقد عبر عن ذلك بوضوح د. ليفنيرج أستاذ ورئيس قسم الاجتماع بجامعة بن جوريون في حديث له أذاعته قناة الجزيرة الفضائية في عام 2008 حين قال " كل الأنظمة العربية تقريبا في خطر لو انهارت دولة إسرائيل " ..

يعلم كل عاقل أن الثورات العربية تهدد أمريكا في الصميم ، فمصالحها المتواجدة بكتافة في أراضى العروش العربية ستضيع ، والخطر الذي تمثله تلك الثورات على حليفاتها الإستراتيجية إسرائيل ربما يدخل عن قريب منطقة الخطوط الحمراء .. هكذا نرى أن الطرف الثاني – أي أمريكا – ستفكر عدة مرات قبل تقديم الدعم الاقتصادي لمصر ما بعد الثورة ..

نحن هنا لا نقصد فقط الدعم المباشر ، بل ضمنه أيضا الدعم الغير مباشر ، فلو ذهبت مصر إلى اليابان أو أوروبا تطلب دعما أو حتى ترغب في إجراء اتفاقيات مشتركة مع تلك الدول ، فرما تجد الطريق مع تلك الدول مسدودا بفعل الضغوط الأمريكي ..

بالطبع هناك فرضية ثالثة من المرجح أن تقدم عليها الإدارة الأمريكية وهي أنها ستقدم تقدم المساعدات بشروط ، تلك الشروط التي نعلمها جميعا وهي تبدأ بسيطة وبرينة وتمثل في ضرورة تطبيق الاتفاقيات الموقعة ، ويُقصد بها هنا اتفاقية كامب ديفيد ، ثم تتوسع تدريجيا إلى الهيمنة وانتهاك السيادة وفرض كل الرغبات والطلبات الأمريكية .. الحكومة الأمريكية لا تستطيع العيش دون إملاءات وفرض الهيمنة على الدول التي تملك الثروات ، فما بالنا بتلك التي تتسول قوت يومها كمصر ..

علينا أن نعرف أيضا أن هناك عاملا مشتركا ووحيدا بين الطرفين السابقين قد يدفعهما إلى تقديم مساعدات اقتصادية إلى مصر وقد تكون سخية ، وهي خشيتهما من اتجاه مصر إلى إيران ، وهو ما يسبب كابوسا مفرعا لهما لأنه سيقرب كل الموازين في الشرق الأوسط ..

الطرف الثالث : جنرالات مجلس مبارك

إذا كان من المسلم به القول بأن شعب مصر يؤمن بأن مبارك قد نهب ثروات مصر وهربها للخارج ، فمن المنطق أيضا القول بأن جنرالاته الذين حموه من غضبة شعبه قد شاركوه في تلك الثروة المنهوبة ، وإذا علمنا أن مبارك لم يسمح طوال عهده لأي ضابط يملك

صوتا وطنيا ونظافة يد بالاقتراب من أي منصب قيادي ، فإننا بسهولة نستطيع أن نفهم ما يفعله مجلس مبارك العسكري في مصر منذ قيام ثورتها الشعبية ..

جنرالات مبارك يراهنون على الوقت ، فهم يعرفون أن الشعب قد طال انتظاره لحصاد ثورته ، ومن هنا جاءت حزمة المشاكل التي يدبرونها ويساعدتهم في تنفيذها جيش من البلطجية مع نظام مبارك الأمني الذي يتمتع بقوة تحت الأرض وفوقها.. يأتي المحللون في الفضائيات المفتوحة ويتهمون مجلس مبارك بتلك المؤامرات ، يرد مندوب الجنرالات " هل من المعقول أن يقوم المجلس العسكري بذلك ، وهو الذي يسهر على خدمة البلاد " ، نفس الرد نسمعه على الفضائيات من مندوبي بشار الأسد عندما يتهمه كل المراقبين بقتل شعبه !

جنرالات مبارك لم يعتادوا على رؤية شعب مصر ينهض ويعبر عم آماله نحو الحرية ، فهم يشعرون أن شعب مصر من العبيد ويجب أن يظل كذلك ، لقد ترجموا فطرة قلوب ملايين المصريين وبساطة آمالها وطيب خلقها على أنها تصدر فقط من العبيد ..

جنرالات مبارك حاولوا عدة مرات بعد الثورة أن يقتلوا تلك القلوب ويجهضوا تلك الآمال ، لكنهم فشلوا فشلا ذريعا في شارع محمد محمود وأمام مجلس الوزراء واليوم في ميدان العباسية ، وغدا سيفشلون في أماكن أخرى ، تماما كفشلمهم يوم موقعة الجمل عندما فتحو أحد أضلاع ميدان التحرير للبلطجية ومنعوا دخول الطعام إلي المعتصمين ، وأدعوا حينها أنهم يقفون على الحياد ..

كل الشواهد والمعطيات وما جرى من وراء الستار تؤكد أن جنرالات مبارك لن يقبلوا أن يتلقوا الأوامر من رئيس مدني ينتخبه الشعب ، هم يقولون في السر وفي العلن " نحن أسيد الشعب في كل العصور " ، ولن يقبلوا أن تتم محاكمة أحدهم أمام قاض اختاره الشعب ، ولن يقبلوا أن تتم ترقيتهم من قبل الرئيس الذي اختاره الشعب ، وهو بحكم الواقع والدستور يعتبر القائد الأعلى للقوات المسلحة ، ولن يقبلوا أن تعلن ميزانيتهم في مجلس الشعب ويتحججون بالأمن القومي ، يساعدهم في ذلك بعض الإسلاميين ، كان الميزانية الأمريكية كلها (بما فيها البنود العسكرية) لا تناقش على الملأ في الكونجرس ، بينما أصحاب حزب المطار السري في مصر يتحججون بالأمن القومي المصري لفتح ثغرة للفساد ، كأنهم لا يعلمون أن أدق تفاصيل الجيش المصري موضوعة على الطاولة الإسرائيلية !!

جنرالات المجلس العسكري كانوا يرحبون بإذلالهم من قبل مبارك نظير بقائهم في مناصبهم لمشاركته في نهب ثروة مصر ، كبيرهم قبل يد مبارك في التسعينات أمام حشد ضم العديد من العسكريين ، والمخضرمون في القوات المسلحة يذكرون تلك الواقعة جيدا ..

كل الشواهد والمعطيات وما يجري على الأرض تؤكد أن جنرالات مبارك ينحنون الآن للعاصفة حتى تمر ، لكن سلوك الاتصال بينهم وبين الطرفين السابقين لن تنقطع في الفترة القادمة ، كما أنها لم تنقطع أيضا مع أيتام الرئيس المخلوع ..
- سيمر الشعب بفترات طويلة من الجوع لأن العروش وأمريكا يمسون بمفتاح المساعدات ، وسيبارك ذلك جنرالات مبارك ..
- سيهتز الأمن الداخلي في مصر لترويع المواطن وتأديبه على ما فعل ، وستشترك أطراف داخلية عديدة مع إسرائيل في هذا العمل ..

كل الشواهد والمعطيات وما يجري على الأرض تؤكد أنه عجلة التنمية ستتوقف – أو تتأخر - بفعل عصى يمك بها أطراف المؤامرة الثلاثة ، أي العروش العربية والغرب و جنرالات مبارك ..

نقول بهذه المناسبة أن جنرالات مبارك - وهم من تدربوا في أمريكا ، وما خفي هناك كان أعظم - يلعبون بجودة عالية ، فقد فتحوا الطريق أمام الإخوان المسلمين تمهيدا لتسليم مصر " خرابة " إليهم ، هنا ارتكب الإخوان المسلمون بهذا العمل الخطأ الإستراتيجي الثالث في تاريخهم ، وقد يكون الخطأ المدمر لهم ولمصر أيضا ، كأنهم لا يدركون أن كرسي القيادة المصرية بعد الثورة سيكون ملغما بالصورة التي ذكرناها .. علينا أن نذكر سريعا تلك الأخطاء الإستراتيجية الثلاثة :

كان الخطأ الإستراتيجي الأول الذي ارتكبه الإخوان المسلمون في نهاية الأربعينات ، يوم أن فتح لهم الملك فاروق الباب بحجة الجهاد في فلسطين ، كان الغرض يومها هو معرفة خلاياهم المسلحة النائمة ، ذهبوا إلى هناك وبذلك كشفوا عن قوتهم ولم يتنبهوا لخديعته ، ضاعت يومها فلسطين بفعل القصور العربية وقبض على الإخوان عقب عودتهم ..

كان الخطأ الإستراتيجي الثاني الذي ارتكبه الإخوان المسلمون هو معادة عبد الناصر والثورة المصرية .. لعامين كاملين بعد انقلاب 1952 وضعهم عبد الناصر (كان حينها وزيرا للداخلية ورئيسا للوزراء) في كل مفاصل وزارة الداخلية ، اعتمد عليهم لأنه كان لا يثق بالكثير ممن قاموا معه بالثورة لأن شهيتهم فاقت توقعاته ، كما عرض على الإخوان ثلاث حقائب وزارية ..

رفض الإخوان العرض ، وصعدوا من موقفهم وانحازوا لمحمد نجيب ضد مجلس قيادة الثورة ، لقد عبروا عن أحلامهم في القيادة ، كعهدهم الثابت في كل مكان يتواجدون فيه ، لقد أعطوا بذلك الفرصة لزملاء عبد الناصر للفتك بهم ، لو منع عبد الناصر زملاءه لكان تعرض هو نفسه للفتك ، عندها هرب الإخوان خارج مصر وتحالفوا مع المخابرات البريطانية والسعودية لإسقاط عبد الناصر ، حينها انفرد عبد الحكيم عامر وجماعته بالملف الأمني (الشرطي والحربي) وفرضوا عليه العمل في الملف المندى فقط ، وقد أبدع فيه إلى أبعد حد ممكن ، ومن النادر أن نجد مثيلا لما فعله ، وأيقن منذ ذلك الحين أن مصر تحكمها عصابة (ردد ذلك بمجالسه الخاصة ، وأكدته أكثر من مصدر في الفترة الأخيرة) ..

وقع تنظيم سيد قطب (الصديق القريب لعبد الناصر قبل أن يفسد الإخوان العلاقة) قى قبضة الأمن ، اعترف الجميع (بما فيهم الإخوان) بأنه كان تنظيما مسلحا يهدف إلى الخلاص من الحكم .. مرة أخرى يعبر عبد الناصر عن أصالته ويطلب فقط الاعتذار نظير طي تلك الصفحة ، لم أقرأ في حياتي عن قائد ثورة يقبض على تنظيم مسلح ويطلب منه الاعتذار فقط نظير انتهاء المشكلة .. ماذا فعلت حماس الإخوانية في رمضان من عام 2009 عندما تظاهر بعض أعضاء التنظيم السلفي في أحد مساجد غزة عقب صلاة الجمعة الأخيرة من رمضان ؟ .. لقد ضربوا المسجد بالهاونات وقتلوا يومها العشرات من المصلين داخله وهم صائمون ..

لما ذاقت مصر مرارة الهزيمة في 67 هلك الإخوان المسلمون ، هم لا يريدون الاعتراف بأن عدم تعاونهم مع عبد الناصر في 54 أدى إلى انفراد رفاق السوء بالملف الأمني ، وهو ما أدى إلى نتائج كارثية دفعت مصر والعرب والمسلمون جميعا ثمنها باهظا في 1967.. ولنا أن نتصور وضع مصر لو تعاونوا مع عبد الناصر في 1954 وقطعوا الطريق على رفاق السوء بالثورة ..

(مازالوا حتى الآن يعبرون عن بهجتهم عن هزيمة مصر في 1967 ، ويمكن العودة لتصريح المرشد محمد بديع في 9 يونيو 2011) ..

الخطأ الإستراتيجي الثالث الذي يرتكبه الإخوان المسلمون هو عبارة عن سلسلة من الأخطاء التي تتجمع الآن وستتحول عن قريب إلى جبل سيسقط على رأس مصر ورأس الإخوان ، ونضع تلك السلسلة من الأخطاء في النقاط التالية :

- 1- التزلف إلى مبارك – خاصة في عقد حكمه الأخير من – وعدم الخروج مع بقية القوى إلى الشارع ، بل ومناهضة من يخرج ..
- 2- بينما كانت الثورة في طريقها للوقوف على قدميها ، كانوا يفاوضون علنا مع عمر سليمان لإعادة الروح لمبارك المترنح ..
- 3- تكرار نفس فعلتهم السابقة في عهد مبارك مع المجلس العسكري الآن ، أي مغازلة الجنرالات بالامتناع عن الخروج إلى الشارع مع الثوار ، بينما الثورة تسرق من الجنرالات الذين لم يقدموا أي تنازل إلا بضغط من الثوار في الميادين ..
- 4- إعلانهم الصريح بأنهم لن يتقدموا للترشح الرئاسي ، ثم مخالفتهم ذلك ..

أسئلة لوجه الله ومصر وشعبها ، نضعها أمام مكتب إرشاد الإخوان المسلمين :

- 1- ما حصدتموه في الانتخابات البرلمانية يفوق أضعاف ما عرضه عبد الناصر عليكم في 1954 ، فلماذا تكرر أخطاء الماضي ؟
- 2- هل صارحكم المتخصصون عندكم (وأخص منهم أستاذي د. عبد الحميد الغزالي) بأن مصر قد أصبحت خرابة من الناحية الاقتصادية ؟
- 3- ألا تدركون أن مجلس مبارك العسكري يريد أن يسلمكم الرئاسة ليثبت فشلكم في تلك المهمة المستحيلة ، تماما كما خدعكم الملك فاروق ؟ ..
- 4- هل تعلمون أن أمريكا والعروش ستقطر المساعدات مع مصر تقطيرا - وربما تقطعها - ليرى كل طرف فشلكم ؟
- 5- هل سيصير الناس على الجوع عندما تجرون البلاد إلى الشلل ؟ أين سيكون مصيركم بعد أن تخذلوا الناس ؟
- 6- أرى محنة 54 التي صنعتموها تبدو في الأفق (إما أنا أو الطوفان) ، فهل ترؤنها معي ؟
- 7- مجلس مبارك العسكري أثار لعابكم فتحالفتم معه وتم شق صف الشارع ، وكان الثمن هو عدم نزولكم الشارع ، فلما تأكد من شق الصف لفظكم ، عندها دعوتم الناس إلى الشارع ، أليست هي سياستكم الثابتة ، لا تتحركون إلا لمصالحكم الخاصة ؟
- 8- كل تنازل قدمه مجلس مبارك العسكري كان من دماء الثوار ، أليست هي سياستكم الثابتة ، الآخرون يبذلون الدماء وأنتم تحصدون ؟
- 9- لماذا لا تلعبون السياسة بصورة احترافية وفي نفس الوقت تظهرون الحرص والشفقة على مصر والمصريين ، غيركم يفوق كي لا تقطع المساعدات ، وأنتم والسلفيون داخل مجلس الشعب تراقبون انضباط السلطة التنفيذية ، وخارجه تنشطون بالعمل الدعوى والخيري ؟
- 10- تقولون أن الإرادة الشعبية هي من يقرر ، رفقا بمصر ، ألا تعلمون أن 60 % من تلك الإرادة لديها أمية صريحة ، وأغلب من

تبقى لا تدرك تعقيدات السياسة الدولية ؟

أخشى ما أخشاه هو أن تكون مصر والمصريون من ضحايا الإخوان والسلفيين .. ستجبر قرصة الجوع المصريين - مع عدم الأمان - على الخروج إلى الشارع والتظاهر في الفترة القادمة ضد القيادة الجديدة في مصر ، ستزيد القرصة تدريجيا مع الحرائق ، عندها ستلجئون مضطرين إلى انتهاك حقوق الإنسان في محاولة منكم لفرض النظام على شعب يموت جوعا بعد أن قدم كل ما عنده ، عندئذ سيكون جنرالات مبارك في ثكناتهم على بهجتهم ينتظرون نداء الشارع للتدخل ، سنسمع حينها نفس النداء الذي رده الشعب في ميدان التحرير قبل غروب شمس جمعة الغضب في 28 يناير 2011 ، واحد اثنين ، الجيش المصري فين .. فاللهم سلم !!

رائف محمد الويشى

سانت لويس - ميزورى - أمريكا

elwisheer@yahoo.com

تابع مقالات سابقة لكاتب المقال على مدونته " ثوار مصر " وعنوانها كما يلي :

www.thowarmisr.com